جماهير الرشيديّة، صامدة ولن تركع رغم اعتداءات العدوّ المتكرّرة ..

الدخول الى عالم المخيم هو الدخول الى الصور النضالية للشعب الفلسطيني تلك الصور التي شاهدها العالم في ايار ونيسان اساطيرا للصمود في وجه الموت والخوف والدمار ..

تتدافع الصور النابضة بالحياة من خلف اسوار الرعب لتترك في تاريخنا شارات مضيئة على طريق الصمود .

ومخيم الرشيدية لا يختلف اطلاقا عن اي من مخيماتنا ، فهنا في الساحة الكبيرة « للمخيم القديم » سقطت سماد خليل ، « وفاطمة عجاوي » برصاص الرجعية اللبنانية في نيسان التحدي والصمود عام ١٩٧٠ ، وهناك وعلى طرف المخيم الشمالي سقط الاطفال والنساء والشيوخ في هجمة الرجعية اللبنانية على المخيم في احداث ايار ١٩٧٣ .

الصور التي نطالعك اليوم وانت تدخل هذا المخيم الكبير لا تختلف اطلاقا عن صور الصمود الماضية ، حيث تتدافع الجماهير المسلحة من ابناء المخيم نحو الشاطىء ليلا لمقاومة محاولة قصف بحري اسرائيلي ، وتطلع الى السماء نهارا انتظارا لغارة اسرائيلية جديدة وبسلاح مختلف هو طيران العدو .

عاشت الهدف ، يومي السبت والاحد الماضيين في الرشيدية فما هي مشاهدات مندوبينا عبر ٤٨ ساعة عاشوها في المخيم ؟ وما هو راي جماهيرنا في هذا المخيم بكل ما يطرح على الساحة الفلسطينية والعربية ؟

■■■

صباح اعتيادي والمخيم يعود الى حياته الطبيعية .

في الليل كانت اصوات النيران تسمع بوضوح تام عبر اكثر من عشرة دقائق وكان الاطفال والنساء والشيوخ يهرعون الى الملاجىء الكبيرة . ففي حين كانت الاف العيون المسلحة تشخص الى الشاطىء لمقاومة اي اعتداء اسرائيلي ، او اية محاولة انزال ، كان كل شيء يبدو اعتياديا تماما ، وعند انتهاء اطلاق النار خرج الجميع الى بيوتهم وكان شيئا لم يكن وهكذا في كل ليلة فكيف يبدا الصباح في هذا المخيم ؟

يبدو ان الصباح يبدا مبكرا هنا حيث يحمل المارة من العمال الذين يعملون في الحقول المجاورة والبعيدة زادهم الصغير باتجاه البحث عن لقمة العيش ...

يصطف الرجال الذين يصنعون بسواعدهم حكايات المقاومة الليلية في طوابير كبيرة ينتظر بعضهم السيارات التي تقلهم للعمل ، ويركب بعضهم الاخر الدراجات النارية والهوائية لنفس الغاية ، او من كان يعمل على مسافة قريبة فانه يركب رجليه احتسابا لتوفير بعض المال لصغاره الذين ينتظرون عودته في المساء .

ونحن نطوف في المخيم كان الحماس يزداد كلما عرفوا هويتنا وكان المدخل الجميل والمزهو باشجار الليمون يفتح صدره بشعار يقول « صامدون ولن نركع ، لا تكاد تعبر امتارا قليلة وانت تدخل صباح هذا المخيم حتى ترى البسمة تتسع على كل الوجوه وتكبر ، عمال الملاجىء هنا وهناك يتوجون تحية الاطفال بزئير اصواتهم ، حتى النسوة اللواتي يذهبن لقضاء حاجاتهم من « الدكاكين » المجاورة كن ايضا مع الزي الفلسطيني تكملة لشارة المدخل « صامدون ولن نركع » .

وعبر اكثر من صوت صادق كان اللقاء طرحا لمشاكل المخيم ومطالبة بالمزيد من اجل تدعيم صموده وصمود جماهيرنا التي قالتها بصراحة وعبر حوارنا مع اهلنا في هذا المخيم **«لا لن نركع ولن نستسلم ولا بديل عن حرب الشعب»**

مخيّم الرشيديّة تاريخ ونضال

— من اوائل المخيمات في لبنان، اخذ طابع المخيم منذ عام ١٩٤٨

● اقرب المخيمات الى الحدود الفلسطينية اذ يبعد عن الحدود حوالى ١٠ كلم فقط

● ثاني مخيمات اللاجئين من حيث كثافة السكان اذ يبلغ عدد سكانه حوالي ١٥ الف نسمة

● غالبية السكان من قرى الجليل الاعلى والغربي الموزعة من صفد حتى عكا — وهم من نازحي ١٩٤٨

● للمخيم تاريخ نضالي طويل ، انطلقت منه اولى مجموعات شباب النار في الستينات وكذلك ابطال العودة لتضرب في قلب العدو الصهيوني

● تعرض للاحتلال العسكري اثناء احداث نيسان الدامية . وضرب بكافة الاسلحة عند الهجمة الرجعية في احداث ايار

● قصف اول مرة من البحر بعد عملية ايلول الاسود في ميونيخ . وبعدها تعرض للمزيد من الضرب من البر والبحر والجو .

● اخر مرة قصف فيها كانت قبل شهر تقريبا ،

على الطرف الغربي للمخيم منزل منفرد ، وقبل شهر تقريبا سقطت اميمة طفلة الخمس سنوات شهيدة هنا على هذه الرمال ، وجرح اخويها حسن وغازي فماذا يقول والد الشهيدة ؟! بعد ان راى كل شيء تقريبا عن هجمة الصهاينة ...

تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره الان كان يبدو هادئا جدا يشير الى الطلقات التي اخترقت منزله عند دخول الكوماندوس الاسرائيلي ويروي الحكاية بكل هدوء :

« سمعت حسن عم يقول للصهاينة ، ما بعرف ، وانطلق صوت اجش مع بكاء الطفل الذي جرح من جراء اطلاق النار عليه : « وين في فدائية هون »، فاجاب حسن الصغير الاسطورة «ما في فدائية عنا»، وانطلقت الرصاصات لكنها اصابت اميمة طفلة الخمس سنوات ، صرخت « ياما » بصوت خافت قالت « امها باكية » عرفت انها ماتت ولم تنتهي الحكاية » .

« احنا شعب لازم نضحي علشان نسترد كل ارضنا ، مش ناقصة ولا شبر ، اميمة امانة بعنق كل ثائر فيكن » .

واردف الاب قائلا : « الي ملاحظه بسيطة ما فيش ملجا حد بيتنا واحنا لما قدمنا اميمة في سبيل الثورة ، والصمود يعني لازم كمان يكون في لاطفالنا شيء يحميهن من اعتداءات الصهاينة » ، كلمات برسم لجنة التحصينات في المخيم لماذا لم يبق لهذه العائلة اية ملجا لا « خاص » ولا عمومي مجاور ؟!

ونحن نخرج من منزل ابو غازي والد الشهيدة ، راينا احد المقاتلين يسير باتجاه احد الكمائن حاملا سلاحه استوقفناه، وقال وهو يجيب على سؤالنا؟ ماهو رايك بما يطرح على الساحة الفلسطينية ومستقبل القضية الفلسطينية .

« الشعب بدو يقاتل حتى تحرير فلسطين الاطفال هون ما برضو الاستسلام ، والكل متفائل بمستقبل القضية الفلسطينية انقلوا تحياتي لكل ثوار فلسطين وعهداً منا ان نصمد » ..

« قصة ام علي واستمرار النضال »

عمرها ٩٠ سنة تقريبا ، في كوخ من التنك وعند اول الطريق الضيقة المؤدية الى البحر كانت ام علي تقول واثقة من النصر .

« اسمع يا ابني انا قدمت ثلاثة في ثورة الـ ٣٦ ومستعدة لان اقدم اولادي الستة الباقين فدا عن فلسطين ، انا يمكن ما ارجعش بس لازم ابن ابني يرجع منصور ورافع باروده زي ما استشهد علي على تراب صفد دفاع عن ارضه ،

الفقراء والاغنياء

سعيد عيد احد العمال العائدين من العمل ، ابتسم قائلا « الهدف » ، اجبناه نعم «فسال عن جميع الرفاق هنا ، قائلا : « الخط الذي تسير عليه الهدف هو طريقنا، يا اخوان اني كم ملاحظة بعرفش اذا بتقدروا تسجلوها ، فرحبنا به فاندفع قائلا :

« انتو عارفين انو المخيم انقصف قبل شهر تقريبا وانو احنا صمدنا كطبقة فقيرة وفي كثير من الاغنيا هون فركوها » « بس بدي اعرف ليش التحصينات بنوا لقسم كبير منهن ملاجيء ؟ اما احنا ما حد النكش فينا ليش لانو احنا فقرا وما بنعرف نرضي الباشا المهندس ، احنا واثقين من الهدف انو راح ترفع صوتنا زي ما هي رافعة صوت الرفض عاليا ، وراح تقول كلمة الحق » ، ما تسالونيش عن الحل السلمي انا راح اوجه رسالة من كوخي هون لكل الثوار الفلسطينيين .

« الكلام يا اخواني اللي بيحكو عن التسوية هو نفس كلام الامبريالية ، المؤامرة اوسع من فكر ضيق وغبي ومغامر ، في شعب يا اخواني وفي ارض وبالنضال مش بالمؤامرات بترجع فلسطين كل فلسطين، الناس اللي بيضللونا ما بيخدعو غير انفسهن ، انا واثق من النصر بس بدي يرتفع الصوت ، صوت المحاسبة لازم يرتفع بوجه كل واحد بيحاول يخون الارض اللي سقط عليها ومن اجلها كل شهدائنا ».

اضرب اضرب عدوك اجا لعندك

على بعد نصف كيلومتر تقريبا كانت « ام العبد »

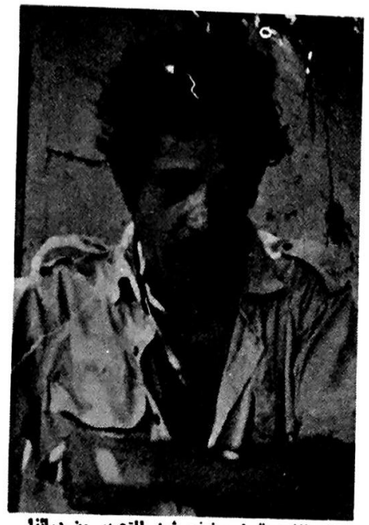

والد الشهيدة : سندفع ثمن التحرير من دمائنا

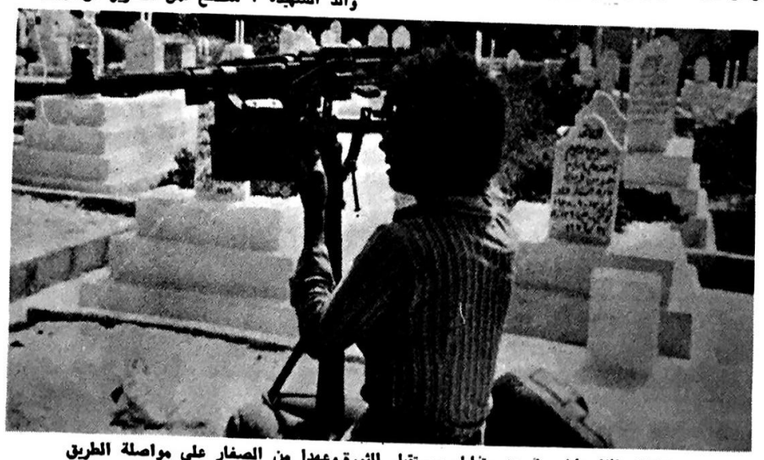

المقاتل الفلسطيني : جد متفائل بمستقبل الثورة وعهدا من الصفار على مواصلة الطريق

قصة ايضا غير سعيد ، ولكنها البقية ، هذه المراة التي كانت تطوف في القصف على قواعد الفدائيين « اضرب، اضرب ، انت البطل واعداءك اجو لعندك » ، ما هو رايها يا ترى في كل شيء ؟

« ملخص مفيد مثل ما بيقولو » قالت وهي تبتسم :

« بدنا كل فلسطين شبر شبر ولو دفعنا على كل شبر شهيد »

« درب النضال طويل وبدنا ندفع دمنا فدا لفلسطين » ...

شو يعني استشهدت واحدة من المخيم هاي حرب، وبدنا ندفع كل يوم مية شهيد ، لانو بغير هالثمن ما حدا بيعطينا ارضنا هدية ، هدايا ما في بها الايام » .

« الخاين يروح يسالم اسرائيل بس بدو يدفع حياتو ثمن لخياتتو لكل شهدائنا » ...

اعداد خليل اليوسف

حنيفة الاشقر : سنحررها شبرا شبرا